سلسلة

شروح مختصرات شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب

(٥)

حاشية

ستة أصول عظيمة

مع متمماتها

في "سبعٍ وخمسين مسألة" استحب الناس فيها العمى على الهدى

لشيخ الإسلام الإمام

محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي الحنبلي

(١١١٥-١٢٠٦)

شرح فضيلة الشيخ

بدر بن علي بن طامي العتيبي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ، وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلى نَبِيِّنا مُحَمَّد، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ رِسَالة "سِتةُ أصولٍ عظيمةٍ" لشيخِ الإسْلامِ المجدِّدِ الإمامِ محمدِّ بنِ عَبْدالوهابِ رَحَمهُ الله تَعَالى، وَهِي رِسَالةٌ مِنْ نَوادرِ رَسائلِ الإمامِ، قَصيرةُ المبَاني، عَظِيمةُ المعَانِي، رصَينةُ الألفاظِ، جَاذبةُ الألحاظِ، بَنَاها عَلى أصلِ تبدّلِ المفاهيمِ، وتزعزعِ الثَّوابتِ، وانْقِلابِ الأحْوالِ، وتَباين الأقْوال، مما أُصيبَ بِهِ خَلقٌ كَثير، أعْمَى اللهُ بَصَائرهُم، وَكَشَف سِرائرِهم، فَكانوا ممَّن قَالَ الله تَعَالى فيهم: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الأنعام: ١١٠] فَصَار المعروفُ منكراً والمنكرُ مَعْروفاً، والسُّنةُ بِدعةً والبدعةُ سنةً، ونَشَأ في ذِلكَ الصَّغيرُ، وهَرِمَ عَليهِ الكبيرُ، وَطُمِسَت الأعلامُ، واشتدَّتِ غُرْبةُ الإسْلامِ، وقَلّ العلماءُ، وغَلَب السُّفَهاءُ، وتَفَاقَم الأمْرُ، واشْتدَّ البَأسُ، وظَهَر الفَسَاد في البرِّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبتْ أيديْ النَّاسِ، وَهَذا مِن دَلائلِ أواخرِ الزَّمانِ، وغُربةِ الدِّينِ في الأبْدَانِ والبُلْدَانِ، ولا حَوْلَ ولا قُوةَ إلا بِالله، فَكانت هَذِهِ الرِّسالةُ المخْتَصرةُ تَضمّ سِتةَ أصولٍ

عَظِيمةٍ أوْضَحَها اللهُ تَعالى في كِتَابِهِ العَظِيمِ، وعَلى لِسَانِ رَسُولِهِ الكرِيمِ؛ وَوَافَقت العقول السليمة، والفِطَرَ القويمةِ، ثُم بَعدَ هَذا كلِّه، وَبعدَما صَار مَا صَار مِنْ انْقِلابِ المفَاهِيمِ، واخْتِلالِ المَوَازِينِ، وَطُغْيَانِ الجَهْلِ والهَوى، أبْطَلوا تِلكَ الأصُولَ الثِّقَالِ، ونَاصَرُوا ضِدِّهَا مِنَ رُسُومِ البَاطِلِ والضَّلالِ، وَهذِه سُنّة الله تَعالى في المتكَبِّرِينَ عَلى قَبُولِ الحَقِّ، والمخَالِفِينَ لسبيلِ هِدايةِ الخَلْقِ، كَما قَالَ تعَالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وَيُوضِّح هَذِهِ الأصُولَ الستَّةَ الجدولُ التَّالي:

الأصل الاول		
الإخلاص	وضده	**الشرك**
فصار الداعي إلى الإخلاص منتقصاً للصالحين مقللاً من شأنهم.		وصار الدَّاعي إلى الشرك معظماً للصالحين عارفاً لقدرهم!
الأصل الثاني		
الاجتماع	وضده	**الفرقة والتحزب**
وصار الدَّاعي إلى الاجتماع مجنوناً أو زنديقاً حين يطلب من كل الناس سلوك طريقٍ واحدة!		وصار الدَّاعي إلى التفرق والتحزب والتعددية عاقلاً مصيباً!

الأصل الثالث		
السمع والطاعة	وضده	الخروج على السلاطين
فصار الذي يأمر بها جباناً مداهناً للسلطان! عميلاً للحكام، ويُطعن في دينه وأمانته!		وصار الذي يدعو إلى الخروج صادقاً أميناً لا تأخذه لومة لائم!
الأصل الرابع		
علم الكتاب والسنة	وضده	علم الكلام والرأي
فصار العالم بالوحيين جامداً جاهلاً بالواقع، مقيدَ الفكر!		وصار العالم بالكلام، كثير الهذر والخوض في العقليات هو العالم العارف!
الأصل الخامس		
أولياء الرحمن	وضده	أولياء الشيطان
فصار الأتقياء الأنقياء الأصفياء المتبعون لا قيمة لهم ولا اعتبار، مهما تمسكوا بالسنة، ولزوم جادة أهل الأثر		وصار أهل الدَّجل والسحر والشعوذة والطرائق البدعية هم الأولياء الصلحاء!
الأصل السادس		
الاتباع للدليل	وضده	الجمود على التقليد
فصار الذي يطلب العلم من الوحيين وآثار السالفين جاهلاً معانداً، وربما وصفوه بالزندقة.		وصار الذي يجمد على آراء الرجال واجتهاداتهم ولا يخرج عنها هو المتبع الصادق!

ثمَّ جَاءَ في "الدُّررِ السَّنِيَّة"[1] إلحَاقاً بِهذهِ السِتَّةِ الأصُولِ أصولٌ ومَسَائِلُ أُخَر لشيخِ الإسْلامِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِالوَهَّابِ رَحِمَهُ الله تَعَالى يَحْسُنُ أنْ تُلْحَقَ بـ"ستةِ الأُصُولِ" لأنَّها في مَعْنَاهَا، في مُتَمِّمَتَينِ مُهِمَّتَينِ، ذَكَر في الأولى "**سبعاً وثلاثينَ مَسْأَلَةً**" ناقضَ النَّاسُ فيهَا أنفُسَهم في أبْوابَ عِدَّةٍ مِنْ أبْوابِ الدِّينِ في الأُصُولِ والأحْكَامِ، وَذَكَرَ في الثَّانِيةِ "**أربعَ عَشَرَ مَسْأَلَةً**" تَنَاقَضَ النَّاسُ فِيْهَا في أبْوَابِ الأسْمَاءِ والصِّفَاتِ، وَسَيأتي ذِكْرُهَا إنْ شَاءَ اللهُ تَعالى، فَيَكُونُ مَجْمُوعُ الأُصُولِ والمَسَائلِ الَّتِي ذَكَرهَا الإمامُ "**سَبعاً وَخمْسِينَ مَسْأَلَةً**" تَقَلَّبتْ فِيهَا المَفاهِيمُ، وتَبَدَّلَتْ فِيهَا الأهْوَاء، وقدَّمُوا البَاطِلَ عَلى الحقِّ، وَلا حَولَ وَلا قُوةَ إلا بِالله.

وَقد أكْرَمني اللهُ بأنْ شَرَحتُ هَذِهِ الأصُولَ في مَجَالِسَ عَدِيدَةٍ، فَرَأى بَعْضُ الخَاصِةِ من الأصحَابِ تَقْيِيد بَعَضِ المُهِمَّاتِ التي سَمِعُوهَا مِنّي، فَأَجَبْتُ مَطْلُوبَهُم، وَحقَّقتُ مَرْغُوْبَهُمْ، فِي هَذِهِ الحَاشِيةِ المُخْتَصَرةِ، واللهَ أسأَلُ القَبُولَ والرِّضَى.

هذا وإني أروي هذه الرسالة إجَازةً عَنْ شَيْخِنَا مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِالرَّحمَنِ ابنِ إسْحَاقِ عَنْ سَعْدِ بنِ عَتَيقِ عَنْ أبيهِ الشَّيخِ حَمَدِ بن عَتِيق وأحْمَد بنِ

[1] "الدرر السنية" (١/ ١٧٥-١٨٢).

إبْرَاهيمَ بنِ عِيْسَى كِلاهُمَا عَنْ الشَّيخِ الإمَامِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ حَسَنِ عَنْ جَدِّهِ شَيخِ الإسْلامِ الإمَامِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِالوَهَّاب.

ح **وأرْوِيها** عَنْ مَشَايِخي عَبْدِالوَكِيلِ الهَاشِمِيِّ وعَبْدِالعَزِيزِ الزَّهْرَانيِّ ويحَيى العَظِيم آبادِي وإمِامِ المسْجِدِ الحَرَامِ مُحَمَّدِ بنِ سُبَيِّلِ وَغيرِهِمْ إجَازةً عن وَالدِ الأوْلِ الشَّيخِ عَبدِالحقِ الهَاشِمِيِّ وَهُوَ يَرْوِيهِ عَنْ أحْمَد ابنِ عَبْدِالله بنِ سَالِمِ البَغْدَادِيِّ ثُمَّ المدَنيِّ عَنْ عَبْدِالرَّحْمنِ بنِ حَسَن عَن جدِّهِ الإمَامِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِالوَهَّابِ.

ح **وأرْوِيها إجَازةً** عَنْ الشّيخِ مُحَمَّد الطيّب الكتاني وعَبْدِالعَظِيمِ الكَتَّانيِّ وَغَيْرِهِمْ عَنْ عَبْدِالسَتَّارِ الدِّهْلَويِّ أخْبَرنَا أحْمَدُ بنُ إبْرَاهِيمَ بنِ عِيْسَى عَنْ عَبْدِالرَّحْمَن بنِ حَسَنِ به.

ح **وأرْوِيها إجازة** عَنْ مشايخي حَسَن عَبْدِالغَفَّارِ الرَّحْمَاني وَشَمْسِ الحقِ مُلْتَانِي وعَبْدِالقَيُّومِ الرَّحَمَاني –هَؤلاءِ الثّلاثَةِ– عَنْ الشَّيخِ أحْمد الله الدِّهْلَويّ عَن الشَّيخِ نَذِيرِ حُسَينِ الدِّهْلَوي عَنْ عابِدِ السِّنْدِي بإجازتِهِ لأهْلِ العَصْرِ عَنْ عَبْدِالله بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِالوَهَّابِ عَنْ أبِيهِ الإمَامِ مُحَمَّدِ ابنِ عَبْدِالوَهَّابِ وِلِيَ أسَانِيدُ أُخْرَى إلى هِذَا الكِتَابِ تَرَكْتُهَا اخْتِصَارَاً.

الإجازةُ وقيد السَّماع

هذا وإنّ الأخ: ..... نفع الله به وجعله مباركاً أينما كان.

قد قَرأ عِنْدي هَذِه الرِّسَالةَ في مَجلسٍ واحدٍ، وذلك يومُ (.....) الموافق لـ: ...../ شهر ...../ عام ١٤، وإنّنَي أُجِيزُه أنْ يَرْوِيَ عَنّي هَذِهِ الرِّسَالةَ بأسَانِيدِها المَذْكُورةِ، وَبِكُلِّ مَا يَصِحُ لي مِنَ أَسَانِيد، وأنْ يَرويَ عَنّي مَا كَتبْتُه عَلِيها مِنْ شَرْحٍ، وَوَصِيَتي لَهُ: الْعِنَايةُ بِهَا، وَقِرَاءتَها، وإقراءَها، مَعْ لُزُومِ سَبيلِ العِلْم والتَّعْليمِ، وَالعِبادةِ والعَمَل، وَصَلَّى اللهُ وسَلَّم عَلى نَبِيِّنا مُحَمَّد وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه أجمَعِين.

كَتَبه الفَقِيرُ إلى رَبِّهِ العَلي

بدر بن علي بن طامي العتيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ أعْجبِ العُجَابِ، وأكْبرِ الآيَاتِ الدَّالةِ عَلى قُدْرةِ الملكِ الغـلَّابِ: **"ستة أصـول"** بَيَّنَهَـا الله تَعَـالى بَيَانـاً وَاضِـحَاً للعَـوامِ فَـوقَ مَـا يَظُـنُّ الظَّانُونَ، ثُم بعدَ هَذا غَلِطَ فِيْهَا كَثِيرٌ مِنَ أذكياءِ العَـالمِ وَعُقَـلاءِ بَنْـي آدَمَ إلا أقلَّ القَلِيلِ.

الأصل الأول

[الإخلاص وضدُّه الشرك][1]

إخْلاصُ الدِّينِ لله تَعَالى وَحْدهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَبَيانُ ضِدِّهِ الـذِي هُـوَ الشّـركُ بِالله، وَكونِ أكثرِ القُرآنِ في بيانِ هَذا الأصْلِ مِنْ وُجُوهٍ شـتَّى[2]، بكلام يفهمه أبلدُ العامة.

ثُمَّ لما صَارَ[3] عَلَى أكثرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ أظْهَرَ لهُمُ الشَّيـطـانُ الإخْلاصَ

---

[1] ما بين المعكوفتين زيادة مني لتوضيح مضمون ما بعده.

[2] فالقرآن كُلُّه منزّل لأجل الأمرِ بالتَّوحيدِ، والنَّهي عن الشرك، وجاء في القرآن بيانُ هذا الأصلِ بالأمرِ والنهي، والخبر والاستفهام، والتقرير والإنكار، والقصص والوعظ، والدلائل الفطرية والعقلية، في وجوهٍ شتى، ومع ذلك يجهلون أهمية التوحيد ومعناه، ويسلكون مسالك الشرك والبدعة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[3] سيتكرر معك نحو هذا اللفظ، دلالةً على بداية التحول والانقلاب في مفاهيم الناس وأديانها، والله المستعان.

في صُورِةِ تَنَقُّصِ الصَّـالِحِينَ والتَّقْصِـيرِ في حُقِـوقِهِم[1]، وأظْهَـرَ لهـمُ الشِّـرْكَ بِاللهِ فِيْ صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالحينَ وأتّبَاعِهِم.

[1] كما هو دين المشركين! ويقولون: يشتم آلهتنا! فسلك المشركون المتأخرون سَنَنَهم، وقالوا لمن يمنع من دعاء الأولياء والصالحين أو الأنبياء: أنت تشتمهم، وتقلّل من رتبتهم عند ربهم، وقدرتهم على النفع والشفاعة!

الأصل الثاني
[الاجتماع وضدّه الفُرقة والتحزب]

أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهى عَنِ التَّفَرُّقِ فِيه[١]، فبيّنَ اللهُ هَذَا بَيانَاً شَافياً تَفْهَمُهُ العَوامُ، وَنَهَانَا أن نَكُون كالـذِّينَ تَفَرَّقُوا وَاختَلَفُوا قَبْلَنَا فَهَلَكُوا[٢]، وَذَكرَ أَنَّهُ أمَرَ المسْلِمِينَ بالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهاهُم عَنِ التَّفَرقِ فِيهِ[٣].

وَيزِيدُهُ وُضُوحاً مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنِ العَجَبِ العُجَابِ فِي ذِلِكَ[٤].

---

[١] كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

[٢] كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

[٣] قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

[٤] وروى البخاري ومسلم في "صحيحيهما" عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه**» الحديث، وعندهما عن أنسﷺ عن النبيﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» ولهما عن أنس بن مالكﷺ أيضاً أن رسول اللهﷺ قال: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**» وروى الإمام أحمد وأبو داود و الترمذي عن أبي الدرداءﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، قالوا: بلى، قال:**

ثم صَارَ الأمرُ إلى أنَّ الافْتِراقَ في أصُولِ الـدِّينِ وَفُرُوعِـهِ هُـوَ العِلـمُ والفِقْـهُ في الـدِّينِ، وَصَـارَ الاجْـتِماعُ في الـدِّينِ لا يَقُولُـهُ إلا زنـديقٌ أو مَجْنُونٌ[1].

صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» والأدلة في المعنى كثيرة جداً.

[1] فمن ينادي الناس إلى ربٍّ واحدٍ لكي يُعبد، ثم يناديهم إلى سبيلٍ واحدٍ لكي يُتَّبع، وهو سبيل محمدﷺ بفهم السلف الصالح، ذمُّوه واستَهْجَنوا قوْلَه، ورأوا بأن اختلاف الآراء، وتناحرَ الناس، وتعددَ الأحزاب، وكثرةَ الفرق، ظاهرةٌ صحية! وسعةُ أفقٍ، واحترامٌ لحريةِ الرَّأي الآخر، ولو كان مناقضاً لأصلِ الدِّين، مُبَايناً لثوابته.

الأصل الثالث

[السمع والطاعة وضدهما الخروج ومنازعة السلاطين باللسان والسِّلاح]

أنَّ مِنْ تَمام الاجْتِماعِ السَّمْعَ والطَّاعَةَ لمنْ تَأمَّر عَلينَا وَلُو كَانَ عَبْدَاً حَبَشِيَّاً[١]، فَبيَّنَ اللهُ هَذَا بَيانَاً شَائِعَاً كَافياً بُوجُوهٍ مِنْ أنْواعِ البَيانِ شَرْعَاً وَقَدَرَاً[٢].

---

[١] كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**» رواه الإمام أحمد وغيرُه بسند جيد.

[٢] أما "شرعاً" فالأدلة الشرعية في الحث على الجماعة والسمع والطاعة كثيرةٌ يعسر حصرها هنا، وأما "قدراً" فالاجتماع تحت الولايات أمرٌ قدري كوني لا يصلح نظام العالم إلا به، ولهذا كان آدم أبو البشر عليه السلام خليفة في الأرض، وذريته من بعده مؤمنهم وكافرهم بحاجة إلى "هذا الوجه" من الاستخلاف، فلا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم، ولا تنتظم الدول، ويستقر الأمن، وتُقْضَى شؤونُ الناس إلا بسلطانٍ يلي أمرهم، ولا قيمة لهذا السلطان إلا بالسمع والطاعة له، ومناكفته بغير علمٍ وعدلٍ: تثيرُ الفتن، وتستبيحُ الدماء، بل من عجائب أمرِ الله الكوني القدري، أن هذا الوجه من الجماعة التي ينتظم عليها نظام الكون موجودٌ في الحيوانات من الدواب والطيور والحشرات، فما من أمة من تلك الأمم إلا ومن جنسها قائد يُتّبع ويطاع، فلا يصلح نظام الكون بالفوضى.

ثُمَّ صَارَ هَذَا الأصلُ لا يُعْرَفُ عِنْدَ أكثرِ مَنْ يَدَّعِي العِلمَ فَكيفَ العَملُ بِهِ[1].

[1] وصدق رحمه الله؛ وما نراه اليوم مشاهد ومسموع، من استجهان كثير من أدعياء العلم هذا الأصل، فرأوه خنوعاً وخضوعاً وذلةً للسلاطين، ورأوا أن الخروج عليهم، والقيامَ بالثورات، ومنازعةَ الحكام: شجاعةً وقوةً، ونُصحاً للدِّين والمسلمين، فأعقبوا ديار المسلمين: الفرقة والشتات، وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وتسلط الأعداء، ونشر الخوف، وطرد الأمن.

الأصل الرابع

[العلم بالكتاب والسنة وضدّه علم الكلام والرأي]

بَيانُ العِلمِ والعُلَمَاءِ، وَالفِقْهِ والفُقَهاءِ، وَبيانِ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَقَد بَيَّنَ اللهُ هَذَا الأَصْلَ فِيْ أولِ سُورَةِ البَقَرةِ مِن قَوْلِهِ: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ**﴾ [البقرة: ٤٠].

إلى قوله: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: ٤٧][1].

---

[1] قال تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: ٤٠ - ٤٧].

وفي هذه الآيات وصف العلماء الصادقين مع الله، الناصحين لخلق الله، ومنها:

[١] الوفاء بعهد الله تعالى في بيان العلم وتعليمه للناس، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾ [آل عمران: ١٨٧] فمن لا ينصح ويبين العلم، فليس من العلماء وإن لبس لبوسهم!

[٢] القبول والتصديق بكلِّ ما جاء به الله ورسولُهﷺ فقال: ﴿**وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**﴾ فكلام الله أوله وآخره، ما أُنزل على الأنبياء من قبل وما أنزل على نبينا محمدﷺ يصدق بعضه بعضاً ولا يخالفه، ومن العيب أن يكون صاحب العلم هو أول من يكفر بما جاء عن الله والجدير به التسليم والقبول به.

[٣] ولا يطلبون الدنيا بالدين، كطلب الشرف والمال ﴿**وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**﴾ فمن تكسّب المال به، وطلب صرف وجوه الناس إليه فليس من العلماء الصادقين.

[٤] أنهم يبينون الحق ولا يلبسونه بالباطل ﴿**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ**﴾ فأهل البدع ليسوا من العلماء لأنهم يلبِّسون على الناس دينهم، ويتبعون ما تشابه منه كما قال النبيﷺ: «**فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**» متفق عليه.

[٥] وأنهم لا يكتمونه ﴿**وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ فمن يحجب السنن، ويخفي الأدلة الواضحة عن الناس فليس من العلماء.

[٦] لزومهم للعبادة، فقال: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ وهذا هو الفرق بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون كما قال الله تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: ٩] فمن يقنت لله آناء الليل ساجداً وقائماً، ويحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربّه؛ هو العالم، وأما الذي نهاره نهار جاهل، وليله ليل سفيه، فليس بعالم بالله ولا بدينه.

[٧] عدم مفارقتهم لجماعة المسلمين، قال تعالى: ﴿**وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ فمن دعا للجماعة فهو العالم، ومن دعا للفرقة فليس بعالم.

[٨] عدم مخالفتهم إلى ما ينهون الناس عنه: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ لأنهم مسؤولون أمام الله عن العلم ماذا عملوا به.

فهذه صفات أهل العلم الصادقين، المميزة لهم عن أهل الجهل والهوى.

ويَزِيدُهُ وُضُوحاً مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُنَّةُ في هَـذَا الكَـلامِ الكثِـيرِ البَـيِّنِ الوَاضِحِ للعَامِيِّ البَلِيدِ.

ثُـمَّ صَـارَ هَـذَا أغْـربَ الأشْـيَاءِ، وَصَـارَ العِلـمُ وَالفِقْـهُ هُـوَ البِـدَعَ وَالضَّلالاتِ[١]، وَخِيارُ مَا عِنْدَّهُمْ لَبْسُ الحقِّ بالبَاطِلِ[٢].

وَصَارَ العلمُ الذي فَرَضهُ اللهُ تَعَالى عَلى الخَلْقِ وَمَدحَهُ لا يَتَفوَّه بِـهِ إلا زِنْدِيقٌ أوْ مَجنُون[٣].

وَصَارَ مَنْ أنْكَرهُ وَعَادَاهُ وَصنَّفَ في التَّحْـذِيرِ مِنْـهُ والنَّهِـي عَنْـهُ هُـوَ الفَقِيهُ العَالِمُ[٤].

---

[١] كعلم الكلام والمنطق، والإشارات الصوفية، والدلائل الباطنية، والضلالات الفكرية! ونحو ذلك من القرمطة في المنقولات، والسفسطة في المعقولات.

[٢] فيأخذون من متشابه الوحيين ما يوهمون الناظرين والسامعين أنه يوافق أهواءهم، فيلبسون الحق بالباطل، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويكتمون ما بين الله في كتابه.

[٣] ويعيبون أهله بأنهم أهل الورق! وأتباع الحواشي، وعلماء الحيض والنفاس! ويصفونهم بتحجر الفهم، وظلامية التفكير، وأنهم لا يفقهون الواقع، وأن كلامهم لا يفقه مع وضوحه وبعده عن التكلف، كما قال المشركون لشعيب عليه السلام: ﴿**مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ**﴾ [هود: ٩١] مع وضوح كلامه وجلائه، وبالغ نصحه.

[٤] كما يمجد العقلانيون اليوم أئمتهم، ويناصر المعتزلة دعاتهم، ويصفق الليبراليون لزنادقتهم، حينما يتهجمون على نصوص الوحيين، وآثار السالفين، بالتشكيك والتحريف والشغب، فيصفهم سفهاء الأحلام، ودخلاء الأقلام بـ: صدقِ التَّحَرُّرِ، وتمامِ الإبداع، وسعةِ الأفق، وحريةِ التعبير، وقوة المناضلة!

الأصل الخامس

[أولياء الرحمن وضدهم أولياء الشيطان]

بيانُ الله سُبْحَانَهُ لأولياءِ الله وَتفْرِيقِهِ بَينَهُم وَبينَ المتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أعْدَاءِ الله المنافِقِينَ والفُجَّارِ، وَيكْفِي في هَذا آيةٌ مِن سورةِ آل عمرانَ وَهِي قولـه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي[1] يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران: ٣١] الآية.

و آيةٌ في سُورةِ المائدةِ وَهِي قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] الآيـــة[2].

وآيةٌ في يُوْنِس وَهِي قَوْلُهُ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

---

[1] فعندما يُسَمِّى أهلُ الضَّلالِ أولياءَهَم: أحبابَ الله! فمحبة الله واقفة على صدق الاتباع للنبيﷺ، ومن يصفونهم بتلك الأوصاف هم من أبعد الناس عن سنة النبيﷺ، يشركون بالله في الرخاء والشدة، وأورادهم بدعية، وعباداتهم محدثة، فأين هُم وأين الإتباع؟ ثم أين هُم بعد ذلك عن صدق محبة الله تعالى؟!

[2] قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] ومحل الشاهد منها أن علامةَ محبةِ الله تعالى الصادقة هي: الجهاد في سبيل الله، وغلاة الصوفية، وأدعياء الولاية؛ يعطلون شريعة الجهاد في سبيل الله.

هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ[١]﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

ثُمَّ صَار الأمرُ عِنْدَ أكثرِ مَنْ يدَّعِي العِلمَ وأنَّهُ مِنْ هُداةِ الخَلْقِ، وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ إلى أنَّ الأوْلياءِ لابدَّ فِيهِمْ مِنْ تَرْكِ اتِّباعِ الرُّسلِ، وَمَنْ تَبِعَهُم فَلَيسَ مِنْهُمْ[٢].

ولابُدَّ مِنْ تَرْكِ الجِهَادِ فَمَنْ جَاهدَ فَليسَ مِنْهُم[٣].

---

[١] وفي الآية العلامة الفارقة، والصفة الكاشفة، بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وهي: الإيمانُ المتضمن لتجريد التوحيد لله تعالى، والاتباع للنبيﷺ، والتصديقُ بكل ما جاء في الكتاب والسنة، والتقوى بالبعد عن محارم الله، والتمسك بالطاعات، وهذا لا يوجد في كثيرٍ من أدعياء الولاية من أئمة الصوفية الغلاة، فهم يشركون بالله، وينادون الناس إلى عبادتهم والاعتقاد فيهم! ويرتكبون الفواحش، بل ربما عطَّلوا كثيراً من العبادات بدعوى بلوغ الولاية، والوصول إلى شهود الحال، ورتبة الفناء، ونحو ذلك من عباراتهم الشيطانية.

[٢] فخالفوا بذلك ما في الآية الأولى وهو شرط "الاتباع" ولهذا يقولون عن أنفسهم: «خضنا بحراً وقف الأنبياء على ساحله!» ويرون أن رتبة الولي فوق النبي والرسول، وهذا كفرٌ بإجماع المسلمين، وعدَّه العلماء من نواقض الإسلام المُجْمَعِ عليها بأنَّ: «من اعتقد أنَّ أحداً يسعه الخروج على شريعة محمدﷺ كما وَسِعَ الخَضِرُ الخروجَ عن شريعة موسىعليه السلام فهو كافر إجماعاً» فالتكليف الرباني لا يسقط عن أحدٍ من المكلفين حتى يموت، ويشمل هذا الأنبياء عليهم السلام وهم أعلى رتبة من سائر البشر، كما قال تعالى: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر: ٩٩] واليقين هو الموت كما قال تعالى عن المشركين: ﴿**وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ**﴾ [المدثر: ٤٦- ٤٧] أي الموت.

[٣] وبهذا خالفوا ما في الآية الثانية من عظيم صفات أولياء الله وأحبابه صدقاً وعدلاً أنهم يجاهدون في سبيل الله، بالحجة والبيان في كلّ حين، وبالسيف والسنان أحايين.

ولابُدَّ مِن تَرْكِ الإيمانِ والتَّقوى[1] فَمَنْ تَعَهَّدَ بِالإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى فَلَيسَ مِنْهُم.

يا ربَّنَا نَسْأَلُك العَفْوَ وَالعَافِيَةَ إِنَّكَ سَميعٌ الدُّعَاء.

[1] وبهذا خالفوا ما في الآية الثالثة؛ وأنهم لا يُعرفون بصدق الإيمان، ولا بحقيقة التقوى، فكيف يوصفون بالولاية؟

الأصل السادس

[اتباع الدليل وضده الجمود على التقليد]

ردُّ الشُّبَهةِ التِّي وَضَعَها الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ القُرْآنِ والسُنَّة وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ المتَفَرِّقَةِ المُخْتَلِفَةِ؛ وهي: أنّ القُرْآنَ والسُنَّةَ لا يَعْرِفُهُمَا إلاَّ المجْتَهِدُ المُطْلَقُ[1].

---

[1] ومرادهم حجب الناس عن نصوصِ الوحيين، واتِّباعِ الدليل، وطلبِ الحجة والبرهان، وجعلوهما مجردَ صُحُفٍ تُقرأ للأجرِ والبَرَكَةِ، وأقاموا بين الناس وبين تَفَهُّمِ كَلامِ الله وكلامِ رسولِهﷺ الحواجزَ العِظَامَ المزعومة بما يسمى "شروط الاجتهاد المطلق" وأنه لا يحل لأحدٍ أن ينظر في هذه النصوص استقلالاً إلا من توفرت فيه هذه الشروط، وهي لا تجتمع عندهم إلا في أئمةِ المذاهب الأربعة، وبقيةُ الناس إنما ينظرون فيها تبعاً لهم لا استقلالا! ثم منهم من أخذ يعبث بأقوالِ أئمةِ المذاهب، ويأخذُ مِنْها ما يوافقُ هواه، ويردُّ ما يخالفه، ويَعْتَمدُ هذا، ويرفض ذاك، وهذا صنيعُ من لا دينَ له ولا خلاق، وهو فعلٌ ينكره أئمة المذاهب الأربعة بأنفسهم، واختلافُ اجتهاداتهم، وتعددُ الروايات والمذاهب عنهم، وسكوتُهم عن الفتوى، وخفاءُ بعض الأدلة عليهم يبين لمن لديه أدنى نظر أنهم كغيرهم من العلماء، يظهر لهم من العلم ويخفى عنهم كما في غيرهم، ويؤخذُ من قولِهم ويُرد، وأقوالُهم لا تُقدَّمُ على قول اللهِ وقولِ رسولِ اللهﷺ، ويراجع للفائدة ما كتبته في "تنبيه الممتري" (ص٣٨٧-٤٦٤) عن هذه الشبهة الشيطانية الطاغوتية.

ومما يجدر التَّنبيهُ عليه؛ أن التجرد عن التقليد الأعمى الجامد لا يعني إهمال كلام السلف، وعدم احترام أقوالِ العلماء، بل لا يجوز لطالب العلم أن يَنْفَرد بفهم وحكم ورأي لم يتكلم به السلف الصالح -بما فيهم أئمة المذاهب الأربعة- وزعمُ الانفرادَ بفهمِ كلام الله وكلام رسول اللهﷺ بغير حاجة إلى النظر في كلام السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الدين هذا كله من

وَالمجْتَهِدُ هُوَ الموْصُوفُ بِكذَا وَكَذا؛ أوْصَافاً لعلَّها لا تُوجَدُ تَامَّةً في أبي بَكْرٍ وَعُمَرَ! فإنْ لَمْ يَكُنِ الإنْسَانُ كَذَلِك فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضاً حَتْماً لا شَكَّ وَلا إشْكَالَ فِيهِ، وَمَنْ طَلَبَ الهُدَى مِنْهُمَا فَهُوَ إمَّا زِنْدِيقٌ، وإمَّا مَجْنُونٌ لأجل صعوبة فَهْمِهما![1]

دين الزنادقة العابثين بديننا، قال حربٌ الكرماني رحمه الله تعالى في كتاب "السنة" (ص٢٢): «ومن زعم أنه لا يرى التقليد ولا يقلد دينه أحداً فهذا قول فاسقٍ مبتدعٍ، عدوٍ لله ولرسولهﷺ ولدينه ولكتابه ولسنة نبيهﷺ إنما يريد بذلك إبطال الأثر، وتعطيل العلم، وإطفاء السنة، والتفرد بالرأي والكلام والبدعة والخلاف».

فالتقليد منه ما هو مذموم: وهو ما عورض به النص.

ومنه ما هو محمود: وهو ما فُهم به النص فهماً صحيحاً.

ولذلك أمرنا النبيﷺ بسنته وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، وقال الله تعالى لنا: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ**﴾ [النحل: ٤٣، ٤٤] وعلّق الله إيماننا الصحيح على ما كان عليه إيمان أسلافنا فقال: ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ**﴾ [البقرة: ١٣٧] وقال النبيﷺ عن الفرقة الناجية: «**هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» فلا غنى لنا عن تقليد السلف بهذا المعنى، وفهم الوحيين بفهومهم، وطلب آثارهم وأخبارهم.

[1] حتى غلا بعضهم وجعل الرجوع إلى الوحيين مباشرة من أسباب الكفر والعياذ بالله؛ فيقول الصاوي في حاشيته على "الجلالين" (٣/ ١٢-١٣) في تفسير سورة الكهف: «لا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية! فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل! وربما أداه ذلك للكفر **لأن الأخذ بظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر**».

ويقول عليش المالكي: «**إن كثيراً من القرآن والأحاديث ما ظاهره صريح الكفر! ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم**» كما في "تنزيه السنة والقرآن" (ص٣٤).

ويقول يوسف الدَّجوي كما في "مجموع فتاويه"(١/ ٣٨٧) : «**يتمسك كثير من الناس بظواهر الآيات وهو غلط فاحش يؤدي إلى الكفر** ...».

فتأمل رعاك الله إلى توافق أهل الضلال على هذا الأصل المنحرف، وتعطيل الأخذ بالقرآن والسنة، وتنفير الناس عنهما، وحثهم على الأخذ بما تمليه أهواؤهم الضالة، فأي دينٍ لهؤلاء؟ يا ربِّ أسألك الثبات على التوحيد والسنة والتمسك بالوحيين.

وذكر شيخ مشايخنا العلامة محمد الأمين الشنقيطي في "تفسيره" (٧/ ٢٦٥) مقالة الصاوي المشينة، وقال: «اغتر بقوله في ذلك، خلق لا يحصى من المتسمين، باسم طلبة العلم، لكونهم لا يميزون بين حق وباطل ... انظر يا أخي رحمك الله، ما أشنع هذا الكلام وما أبطله، وما أجرأ قائله على الله، وكتابه وعلى النبيﷺ وأصحابه، سبحانك هذا بهتان عظيم، أما قوله بأنه: «لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة، ولو كانت أقوالهم مخالفة للكتاب والسنة، وأقوال الصحابة» فهو قول باطل بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة ﷺ وإجماع الأئمة الأربعة أنفسهم، كما سنرى إيضاحه إن شاء الله بما لا مزيد عليه في المسائل الآتية بعد هذه المسألة. فالذي ينصره هو الضال المضل، وأما قوله: «إن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة، من أصول الكفر» فهذا أيضاً من أشنع الباطل وأعظمه، وقائله من أعظم الناس انتهاكا لحرمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، سبحانك هذا بهتان عظيم...» ثم استطرد رحمه الله في نقض هذا القول الباطل وفنّده وأغلظ على مقالته.

ويراجع كلام العالم أحمد بن حجر آل طامي الشافعي في كتابه "تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران".

فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ كَمْ بَيَّنَ اللهُ سبحانَهُ شَرْعاً[١] وقَدَراً[٢]، خلقاً[٣] وأمراً[٤]؛ في ردِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ الملعُونَةِ مِنْ وُجوهٍ شَتَّى بَلَغَتْ إلى حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامّةِ وَلكِنَّ أكثرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا

---

[١] في عموم أمر الله تعالى للثقلين باتباع الكتاب والسنة، وطاعة الله ورسولهﷺ وعدم تخصيص هذا بالعلماء دون غيرهم بله خصوص أربعة أشخاص من بين سائر المسلمين!

[٢] من جهة حكمة الله تعالى بتمام البيان، وبلوغ الحجة، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وإظهار الحجج والبينات، لهداية الخلق، فكيف يجعل هذا القرآن المحكم المبين عسيرَ الفهم، خفي الدلالة، لا يعلمه إلا أشخاص يعدون على أصابع اليد الواحدة؟

[٣] فخلق الله في الناس السمع والأبصار والأفئدة لكي تفهم كلام الله تعالى وكلام رسله عليهم صلوات الله تعالى، ومن خصّ فهم كلام الله وكلام رسولهﷺ من كل جهة بالمجتهدين؛ فما بقية الناس أمام تلك النصوص إلا كمن لا سمع لهم ولا أبصار ولا قلوب يعقلون بها.

[٤] بعموم أمر الله تعالى بتدبر كلامه في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيراً﴾ [النساء: ٨٢] وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] وهذا خطاب عام للجن والإنس.

فالنظر في الكتاب والسنة والعمل بهما، والرد إليهما واجب على كلّ المكلفين، وما كان فيه محكم المعنى، جلي الدلالة، فالمكلفون فيه سواء، وما خفي معناه، وتشابهت دلائله، فهنا مضمار العلماء الراسخين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] على قراءة الوصل، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ٧ - ١١].

آخرُهُ والحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ وصَلَّى اللهُ عَلى نبيّنا مُحَمَّد وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تسْليماً كَثِيراً إلى يومِ الدِّينِ.

المتممة الأولى
سِبعٌ وَثَلاثُونَ مَسْألةً
ناقضَ النَّاسُ فيهَا أنفُسَهم في أبْوابَ عِدَّةٍ مِنْ أبْوابِ الدِّينِ في الأُصُولِ والأحْكَامِ

قالَ رَحِمَهُ اللهِ تَعالى:

ومما يشبه هذا:

[**الأولى**:] أنَّ اللهَ ذَكَرَ أنَّه أنْزَلَ القُرآنَ لِيُخْرِجَ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ، فَظَنَّ الأكْثَرُ ضِدَّ ذَلِك[1].

الثَّانِيةُ: ذِكْرُهُ أنَّ الإيْمَانَ [بِهِ[2]] سَببٌ لِلْعُلوِّ فِي الدُّنْيَا[3]، فَظَنَّ الأكثرُ ضِدَّ ذَلِكَ.

---

[1] قال الله تعالى: ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [المائدة: ١٥- ١٦] وكما تقدَّم فأهل الضلال يرونه ظلمة وضلالا، ومن هذا ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية عن أحد أئمة المتصوفة الزنادقة، فقال رحمه الله "مجموع الفتاوى" (٢/ ٢٤٤): «حدثني الشيخ العالم العارف كمال الدين المراغي شيخ زمانه أنه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد قال قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئاً فرأيته مخالفا للكتاب والسنة، فلما ذكرت ذلك له، قال: **القرآن ليس فيه توحيد بل القرآن كله شرك ومن اتبع القرآن لم يصل إلى التوحيد** ...».

[2] ساقطة من المطبوع، والسياق يقتضيها فالكلام موصول عن القرآن.

[3] قال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾

الثَّالثةُ: أنَّ الإيمانَ بِهِ واتِّبَاعَهُ سَبَبٌ لِلْعِزِّ[1]، فَظَنَّ الأكثرُ ضِدَّ ذَلِكَ.

الرَّابِعَةُ: إنْزَالُهُ عَرَبِياً بَيِّنَاً لَعلَّهُم يَفْهَمُونَهُ، فَظَنَّ الأكْثَرُ ضِدَّ ذَلِكَ، وَأقْبَلُوَا عَلى تَعَلُّمِ الْكُتُبِ الأعْجَمِيَةِ لِظَنِّهِم سُهُوْلَتَهَا، وَأنَّهُ لا يُوصَلُ

[المجادلة: ١١] وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠] فظنّ المخدوعون أن العلو والرفعة إنما تكون بزينة الحياة الدنيا، ومعارف الكفار، وزعموا أن هذا القرآن يسبب تأخرهم عن مواكبة الأمم.

[1] قال الله تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٦] وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ﴾ [الصَّفات:١٧١-١٧٣] وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة:٢١].

وقال قتادة: «من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله» وقال ابن القيم في "زاد المعاد" (١/ ٣٩): «والمقصود أن بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة».

ثم بعد ذلك من سوء الظن بالله وبدينه من يرى أن العزة تكون بزخارف المبطلين، ومعارف المنحرفين! ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

إلِيهِ مِنْ صُعُوبَتِهِ[١].

الخَّامِسَةُ: ذَكَر أَنَّهُم لَو عَمِلوْا بِهِ لَصَلُحَتْ الدُّنْيَا، فَظَنَّ الأَكْثَرُ ضِدَّ ذَلِكَ، لِقَوْلِهِ: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا**﴾ الآية [سورة الأعراف: ٩٦][٢].

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ أَنْزَلَهُ تَفْصِيْلاً لِكُلِّ شَيءٍ، فَاْشتَهرَ أَنَّهُ لا يَفِي هُوَ، وَلا السُنَّةُ بِعُشْرِ المِعْشَارِ[٣].

---

[١] قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف: ٢] وقال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا**﴾ [طه: ١١٣] وقال تعالى: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [فصلت: ٣] فهو بلسانِ العربِ أفضلِ مَنْ نَطَق، وأفصحِ مَنْ تكلَّم، ومع ذلك تركوا هذا الكتاب العربي المبين، وعمدوا إلى كتب العجم ككتب أهل اليونان، وترجموها، وأدخلوها على المسلمين، وكذلك ما صنعوا اليوم من ترجمة كتابات المستشرقين، وروايات الملاحدة، وتعلقوا بها، ورأوا أن القرآن العظيم صعب الفهم، عسير المعنى ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ [الأنفال: ٢٣].

[٢] قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة: ٦٥، ٦٦] فلو عملوا بما أنزل الله لساق الله إليهم النعم من السماء والأرض.

[٣] قال تعالى: ﴿**ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٤] وقال تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**

السَّابِعَةُ: ذِكْرُهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ بَوأَ إِبْرَاهِيمَ مَكَانَ البَيْتِ[1]، لِيدُلَّ عَلَى نَفِي الشِّركِ، فَاسْتَدَلُّوا بِهِ عَلى حُسْنِهِ.

مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥] وقال تعالى: **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾** [النحل: ٨٩] وقال تعالى: **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾** [الأنعام: ٣٨] والله يعني ما يقول، ويريد ما تكلم به، فهو بيانٌ وتفصيلٌ لكلِّ شيء، ومع ذلك يأتي بعض المنافقين ويزعمون بأنه لا يصلح في السياسية والاقتصاد وإدارة المجتمعات؟ وهو مصدر كلِّ علمٍ محمودٍ، في العقائد والأحكام والآداب والمواعظ والقصص والأخبار والطب والجغرافيا، وأنواع الطير والحيوان، والألوان، والأعداد، وكل ما ينتفع به البشر لابد وأن في القرآن الكريم ما يهدي إليه، ويبين أصوله.

[1] قال تعالى: **﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾** [الحج: ٢٦] فاستدل عبَّادُ الأضرحة والقبور التي كانت تقصد وتعبد في زمن مضى في مكة بـ: "فضيلة مكة، وأنها مبوأ إبراهيمعليه السلام" ونسوا أن فضيلتها، وإرسالَ إبراهيم إليها ما كان ذلك كلّه من أجل البراءة من الشرك، والقيام بالتوحيد، وهم قد خالفوا ذلك، والأرض لا تقدس الرجال ولا تزكي الفاسد من الأعمال، فالشرك شركٌ ولو كان بين الركن والمقام كما كان الحال في مكة قبل فتح النبيﷺ لها، ولو عاد الشرك إليها فالحكم يعود مع علّته في وجوب إنكاره ومحاربة أهله، وحديث: «**لا هجرة بعد الفتح**» لا يدلّ على أن الشرك لن يعود إلى مكة وما جاورها، وإنما يدل على انقطاع وجوب الهجرة من مكة ذلك الحين بعدما كانت واجبة على أهلها، قرّر هذا جمع من العلماء منهم الشيخ حمد بن عتيق عليه رحمة الله عز وجل.

الثَّامِنَةُ: أَمْرُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُطَهِّرَه مِنَ الْمُشْرِكِينَ[١] فَلا يَقْرَبُونَه، فَصَارَ الواقعُ كَمَا تَرَى[٢].

التَّاسِعَةُ: كُونُهُ ذَكَر أَنَّ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجَا، وَيَرْزُقَه مِنْ حَيثُ لا يَحْتَسِبْ، فَصَارَ ظنُّ الأكْثَرِ أَنَّ الأمْرَ بِخِلافِ ذَلِكَ[٣].

العَاشِرَةُ: ذِكْرُه أَنَّ مَنْ يَتَوكَّلَ عَلى اللهِ فَهُو حَسْبُهُ، فَصَـار ظَنُّ الأكْثَرِ

---

[١] قال تعالى: ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ [الحج: ٢٦] تشمل الطهارتين: الحسية والمعنوية، ومن الطهارة المعنوية: البراءة من الشرك وأهله، وتطهير البيت منه ومنهم، ولذلك أمر النبيﷺ أن لا يحج البيت بعد عام الفتح مشرك، وقالﷺ: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**» وأخصها مكة.

[٢] في زمنٍ مضى كان أهل الجهل يعكفون على قبر ميمونة بسرف، وشيدوا على قبر خديجة رضي الله عنها بناءً يضاهي بناء الكعبة، يتبرك به، وينذر إليه، وأخبرني من رآه على تلك الصورة – قبل ولاية الإمام عبدالعزيز رحمه الله تعالى على الحرمين– وذكر أن بجواره سوقاً للناس كلّ يوم اثنين، ويقول قائلهم: هذا اليوم عليك يا خديجة! فهذا عين الشرك الذي حذر منه النبيﷺ وأمر بإخراج أهله من مكة، ومع ذلك يأتي من علماء الضلال من يدافع عنهم، ويؤويهم ويصحح دينهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[٣] قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢-٣] فصار طلبُ المال بالحرام –مِنَ بالربا والحيل من دونه– هو باب الرِّزق عند الكثير، ويزعمون أن الامتناع من ذلك اتقاء الله واتقاء سخطه يحرمهم من الرزق، ويمنعهم من الخير، وهذا من عظيم سوء الظن بالله تعالى، فأبواب الخير والحلال أكثر من أبواب الحرام، ولكنّهم قومٌ لا يعقلون.

بِخِلافِ ذَلِكَ[١]؛ بَلْ ذَكَرَ بَعضُ الأجلاءِ: أَنَّهُ لا يَجْلِبُ خَيراً، وَلا يَدْفَعُ شَرّاً[٢].

الحَادِيةُ عَشَر: أَنَّ تَزَوُجَ الفَقِيرِ سَبَبٌ لِغِنَاهُ، فَصَارَ ظَنُّ الأكْثَرِ بِضِدِّهِ[٣].

---

[١] قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ [الطلاق: ٣] فهو حسبه: أي كافيه وحافظه.

[٢] فيعطلون التوكل، ويعتمدون على الأسباب قلبياً.

[٣] قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [النور: ٣٢] روى ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٨٢) عن أبي بكر الصديقﷺ أنه قال: «أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى، قال تعالى: ﴿**إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾..».

وَأخرج عبد الرّزَّاق فِي "الْمُصَنّف" وَعبد بن حميد عَن قَتَادَة قَالَ: ذكر لنا أَن عمر بن الْخطاب قَالَ: «مَا رَأَيْت كَرجل لم يلْتَمس الْغنى فِي الْبَاءَة وَقد وعده الله فِيهَا مَا وعده فَقَالَ: ﴿**إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾..».

وَأخرج عبد الرَّزَّاق وَابْن أبي شيبَة مَعًا فِي "الْمُصَنّف" عَن عمر بن الْخطاب قَالَ: «ابْتَغوا الْغنى فِي الْبَاءَة».

وروى ابن جرير (١٩/ ١٦٦) عن ابن مسعود أنه قال: «التمسوا الغنى في النكاح» ثم تلا هذه الآية.

وعن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله**» رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

الثَّانِيةُ عَشَر: أنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ سَبَبٌ لِكَثْرةِ المالِ، فَظَنَّ الأكْثَر ضِدَّ ذَلِكَ، فَتُرِكَتْ خَوْفاً مِنْ نَقْصِهِ[1].

الثَّالِثَةُ عَشَر: أنَّ الاقْتِصَارَ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ سَببٌ لِكَثْرةِ الْعِلمِ[2]، وَطلبُ العِلْمِ مِنْ غَيرِهِ سَببٌ للجَهْلِ، فَصارَ الأمرُ كَما جَرَى.

ولا يعارض هذا كلَّه قولُه تعالى: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ [النور: ٣٣] فالمراد بهذه الآية من لم يجد ما يستطيع به النكاح، فأمره بالتعفف حتى يجد ما يستطيع الزواج به، وأما من وجد من يزوجه على فقره من ماله أو مال غيره فإنَّ الزواج لا يزيده فقراً بإذن الله، بل يغنيه.

وينظر "غذاء الألباب" للسفاريني (٢/ ٤٣٣).

[1] يقول النبيﷺ: «**من سره أن يُبسط الله له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره، فليصل رحمه**» رواه البخاري، فظن بعض المغرورين أن صلة الأرحام تسبب صرف المال ونقصه، فيحرمه الشح بماله من وصلهم، وربما فرّ إلى أقاصي البلدان هرباً بماله من وصل ذوي الأرحام، وما علم أن صلة الرحم من أعظم أسباب سعة الرزق، وطول العمر.

[2] قال تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ * هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [الجاثية: ١٨ - ٢٠] فما جاء به النبيﷺ هو العلم، في شريعة واحدة بينة واضحة، وما عدا ذلك مهما كثر فإنما هي الأهواء والسُبل المضلة، وهم جهّال لا يعلمون العلم الحق، وساء ظن بعض الخليقة بما جاءهم عن الله ورسولهﷺ، ولم يروا العلم في الوحيين، وزهدوا في النظر في مكنونها ومضمونها، وعمدوا إلى جهالات أهل الضلال، فعكفوا عليها، وأدمنوا النظر فيها، وظنوا أنهم صدروا بالعلم، وما علموا بأنهم إنما انتقلوا من سطح الجهل إلى ظلماته! ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ**

الرَّابِعَةُ عَشَر: صحَّ عنهﷺ أنَّه قَالَ لأسْمَاء: «**ارْضَخِي مَا اسْتَطَعتِ، وَلاَ تُوْعِي فَيُوعَى عَليكِ**»[١].

فَذَكَر سببَ الغِنَاءِ الذي هُوَ عِنْدَ الأكثرِ سَببُ الفَقرِ، وَذَكر سَببَ الفَقْرِ الذي هُوَ عِنْدَ الأكثرِ سببُ الغِنَاءِ[٢]، وَكذَا قَولُه: «**مَا نَقَصَ مَالٌ صَدَقة**»[٣].

الخَامِسَةُ عَشَر: قَولُه: «**مَا زَاد اللهُ عَبْدَاً بِعَفوٍ إلا عِزّاً**»[٤] فَذكَر سببَ زِيادَةِ العِزِّ الذي يَظُنُّ الأكثرُ أنَّه سببُ الذُّلِّ وَزَوالِ العِزِّ.

غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧] فما العلم إلا ما عنه السؤال في القبر بمعرفة الله ونبيهﷺ ودينه الذي جاءت به الرسل.

[١] رواه البخاري ومسلم؛ وارضخي: من الرَّضخَ، وهو العطاء القليل.

[٢] والمراد: بذل المال، سبب في سعة الرزق، وحبسه سبب في منعه عن المرء، فساء ظنّ بعض الناس فظنوا بأن بذل المال سبب لنقصه وخسارته، وأن حبسه سبب لحفظه ونمائه.

[٣] رواه مسلم من حديث أبي هريرةﷺ؛ وفيه أن الصدقة تزيد المال ولا تنقصه، لأنها زكاة ونماء وبركة له.

[٤] جزء من الحديث الذي قبله عند مسلم؛ وهذا هو الحق، وأن العفو يزيد المرء عزة ورفعة، ويكون بعفوه يداً عليا، واليد العليا فوق اليد السفلى إلى يوم القيامة، والله تعالى يقول: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [الشورى: ٤٠] وهذا أعظم العزِّ لفوزه بالعهد بأن يؤجر، وليس مجرد الوعد به، لقوله: ﴿**عَلَى اللهِ**﴾ ولم يقل من الله! =

السَّادِسَةُ عَشَر: قُولُه: «**مَا فَتَح أحدٌ عَلى نَفْسِهِ بابَ مَسْألةٍ، إلا فَتَح اللهُ عَلِيهِ بَابَ فَقْرٍ**»[٢] فَذكَرَ سببَ الفَقْرِ الذي هُوَ عِنْدَ الأكثرِ سَببٌ لزوَالِ الفَقْرِ.

السَّابِعَةُ عَشَر: قَولُه: «**مَا تواضَعَ أحدٌ للهِ إلا رَفَعهُ**»[٣] فظنُّوا ضِدَّهُ.

= وقد صار العفو اليوم عند بعض الناس ذلةً وضعفاً وعجزاً عن أخذ الحق، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكأن العفو لا ثواب فيه ولا أجر! وقد قال الله تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤] فالعفو عن الناس من أبرز صفات المتقين، ومن ذلك عفو النبيﷺ عن أهل مكة يوم فتحها، وقد فعلوا به من الأذية ما لم يفعله أحدٌ غيرهم.

[٢] رواه الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري ويشهد له في تتمة لفظه حديث أبي هريرةﷺ السابق؛ وفيه أن سؤال الناس، وبذل الوجوه إليهم يظنه الظانون أنه سبب لزوال الفقر، بينما هو في الحقيقة يزيدهم افتقاراً وحاجة إليهم، والكف عن سؤالهم يورث القلب قناعة ورضىً وصبراً، ولهذا أوصى النبيﷺ وفدَ الأشجعيين بأن لا يسألوا الناس شيئاً، وروى أبو داود عن ثوبانﷺ أن رسول اللهﷺ قال «**من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئا وأتكفل له بالجنة؟ فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحدا شيئا**» ويُنصح أجلةُ العلماء طلاب العلم بحفظ قصيدة علي بن عبدالعزيز الجرجاني (ت٣٩٢) في عزة نفس صاحب العلم التي يقول في صدرها:

يقولـون لي: فيــك انقبـاضٌ وإنـما ... رأوا رجـلاً عن موقف الذلّ أحجما

أرى الناس من داناهمُ هان عندهم ... ومَـن عظـمـته عزةُ الـنـّفـس عُظِّما

[٣] جزء من حديث أبي هريرة وأبي كبشة السابقين؛ والتواضع ولين الجناب يحقق ما أخبر به النبيﷺ من الرفعة وعلو المنزلة، وضد ذلك الكبر والتعالي على الناس يحقق الذلّةَ والهوان

الثَّامِنَةُ عَشَر: قَولُه: «**فإنْ صَدَقا وبَيَّنَا بُورِكَ لهمَا في بَيْعِهِمَا**» إلى آخِـرِهِ[١]، فظنُّوا ضِدَّهُ.

التَّاسِعَةُ عَشَر: أنَّ الجهلَ بِكثِيرٍ هُو العِلمُ، وَالخوَضُ بِالعْكسِ[٢].

العُشْرُون: أنَّ الجهادَ سببٌ لِبَقاءِ الأنْفُسِ والأموالِ.

والانكسار، فالتواضع من شكر النعم، وشكر النعم يزيدها، والتكبر من الكفر بها، والكفر ينقصها، وصار في ظنّ المخدوعين أن التواضع واللين ذلٌّ وانكسار، فطلبوا الكبر والتعالي.

[١] رواه الشيخان وتتمته: «**وإن كتما وكذبا، محقت بركة بيعهما**» فظنّ المخدوعون أن الإخبار بعيوب السلعة يعطّل بيعها، ويقلل الربح، بينما هو ييسر بيعها ببركة الصدق والنصح، ويبارك له في قيمتها وإن قلّت.

[٢] أي الجهل بكثيرٍ من علومِ أهلِ الضَّلال هو والله العلم، ولا يُعابُ بِهِ المرءُ، ولو وصفوه بالجهل، بلِ الجهل كُلّه في الخوضِ في تلكِ العلوم، والتعمُّق فيها، والاشتغال بها عن الوحيين، كما أنشد بعض الحاذقين منهم بعد خوضه في تلك العلوم الهزيلة مدة طويلة من عمره:

نهايةُ إقدام العقول عقالُ ... وأكثر سعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشةٍ من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذىً ووبالُ
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه: قيل وقـالوا

لقد تأملتُ الطرقَ الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيتُ أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥] ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر:١٠] واقرأ في النفي: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشُّورى:١١] ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾ [طه:١١٠] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي».

ويقول الآخر: «لقد خضت البحر الخضم، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان، وها أنا أموت على عقيدة أمي».

الحادِيةُ والعُشْرون: كَونُ تَرْكِهِ سبباً لِعَذابِ الأَنْفُسِ وَذهابِ الأَمْوالِ.

الثانية والعُشْرون: كونُ الهِجْرَةِ عَنِ الأَهْلِ والمالِ سَبَباً لحياةِ الدُّنْيَا، وَالأصلُ في هِذَا قَولُه: ﴿**وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ [سورة البقرة: ١٩٥] وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [سورة الأنفال: ٢٤] فُسِّرَت الحياةُ بالقتَالِ، والتَّهْلُكَةِ بالمقامِ عَنْهُ في الأَهْلِ، وَفُسِّرتْ بِجَمْعِ المالِ، وَتَرْكِ النَّفَقةِ[1].

الثَّالِثةُ والعُشْرون: قولُه: «**إِنَّ اللهَ إذا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلاهُم**» فظَنُّوا

---

[1] قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "جامع المسائل" (٥/ ٣٢٧): «فإن التهلكة والهلاك لا يكون إلا بترك ما أمر الله به أو فعل ما نهى الله عنه، فإذا ترك العباد الذي أُمروا به، واشتغلوا عنه بما يصدهم عنه من عمارة الدنيا، هلكوا في دنياهم بالذل وقهر العدو لهم، واستيلائه على نفوسهم وذراريهم وأموالهم، ورده لهم عن دينهم، وعجزهم حينئذٍ عن العمل بالدين، بل وعن عمارة الدنيا وفتور هممهم عن الدين، بل وفساد عقائدهم فيه، قال تعالى: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٧] إلى غير ذلك من المفاسد الموجودة في كل أمة لا تقاتل عدوها سواء كانت مسلمة أو كافرة.

فإن كل أمة لا تقاتل فإنها تهلك هلاكا عظيما باستيلاء العدو عليها وتسلطه على النفوس والأموال. وترك الجهاد يوجب الهلاك في الدنيا كما يشاهده الناس، وأما في الآخرة فلهم عذاب النار» انتهى كلامه رحمه الله.

ضِدَّه[١].

الرَّابعةُ والعُشْرون: قولُه في ضِدِّهِ: «**أَخَّرَ عُقوبَتَه حتَّى يُوافى بِذَنْبِهِ يَومَ القِيَامةِ**»[٢].

الخامسةُ والعُشْرون: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ كَلِمةُ التَّقْوَى[٣]، فَجَعَلُوهَا كَلِمةَ الفُجُورِ[٤].

---

[١] قال النبيﷺ: «**إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط**» أخرجه الترمذي، فالابتلاء مع أهل الإيمان دليل محبة لا دليل نقمة وغضب، و«**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**» كما جاء عن النبيﷺ عند الترمذي وغيره، وقد ينقلب هذا عند بعض المتهوكين المتنطعين، ويشوهون الحق وأهله بما يصابون به من البلاء من مرض وفقر ونكبات.

[٢] رواه الترمذي بلفظ: «**إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر، أمسك عنه حتى يوافى به يوم القيامة**» وهذا يبين معنى الحديث السابق، وأن تعجيل العقوبة في الدنيا من دلائل الخير بالعبد، ويظن الظانون المغرورون أن عدم نزول البلاء والعقوبة على من ظهر إسرافه وتفريطه من دلائل الخير به، وما هو إلا الإمهال والاستدراج إلى يوم يلقى الله تعالى فيحاسبه الله.

[٣] قال تعالى: ﴿**فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ [الفتح: ٢٦].

[٤] وكرر هذا القول رحمه الله تعالى في تفسيره لسورة الفتح، كما في "الدرر السنية" (١٣/ ٣٨٩)

السَّادِسَةُ والعُشْرون: خَلَقَهُم للعِبَادةِ، فَجَعَلُوهَا لِغَيْرِهِ[١].

السَّابِعةُ والعُشْرون: إنْزَالُه الكِتَابِ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ، فَجُعلَ لِغيرِ ذَلِك[٢].

فقال في فوائدها: «منها – وهي أعظمها –: تسمية الله، لا إله إلا الله: كلمة التقوى؛ وجعلها أعداء الله كلمة الفجور».

أي أن الله تعالى جعل حقيقة هذه الكلمة هي تقوى الله تعالى بفعل ما يرضيه، واجتناب نواهيه، وجعلها أهل الضلال: كلمة الفجور، تزين لهم فجورهم، فيرون أن مجرد قولها بغير علم وعمل يعصم دماءهم وأموالهم ولو فعلوا ما فعلوا من ترك دعائم الإسلام، وشعارات الملة.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى كما في "الدرر السنية" (١/ ٩٦): «وسماها سبحانه بالعروة الوثقى، وكلمة التقوى؛ وسموها الطواغيت: كلمة الفجور، من قال لا إله إلا الله عصم دمه وماله ولو هدم أركان الإسلام الخمسة، وكفر بأصول الإيمان الستة».

وهذا شأن غلاة المرجئة اليوم؛ فسلبوا من لا إله إلا الله روحها وهي التقوى، وأصلها وهو العلم والعمل، واكتفوا بمجرد النطق بالكلمة، وزينوا للناس الفجور.

روى اللالكائي وغيره عن إبراهيم النخعي أنه قال: «تركت المرجئة الدين أرق من ثوب سابري» أي رقيق هزيل.

وقال أبو بكر ابن أبي داود في "قصيدته في السنة":

ولا تكِ مرجياً لـــعـــوباً بديـنـــه ألا إنما المرجـيُّ بالدين يمزح

[١] قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦] ثم عبدوا غير الله.

[٢] قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ**

الثَّامِنةُ والعُشْرُون: إرْسَالُ الرُّسُلِ، لِيُعَلم أَنَّهُ الإلهُ الوَاحِدُ، فَجُعِلَ لِغيرِ ذَلِك[1].

التَّاسِعَةُ والعُشْرون: إنْزَالُ الحَدِيدِ ليَعلمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بالغَيْبِ[2]، فَجُعِل لِضِدِّ ذَلِك.

الثَّلاثُون: شُرِعَتِ الإمَارةُ لِقِيامِ الدِّين والعَدْلِ، وَإزالةِ البَّاطِلِ[3]، فُجِعِلَتْ لِضِدِّ ذِلِك.

عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥] فحَكَمَ من حَكَمَ مِنْ طغاةِ القُضَاةِ بالظلم، وأكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ، ويزعمون أنه حكم الله وحكم رسولهﷺ.

[1] قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿**فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [هود: ١٤] وقال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾ [محمد: ١٩].

فما جاءت الرسل إلا ليَعْلَموا أنْ لا إله إلا الله ويعلِّمُوها الناس، ثم جاء من يدعي العلم والتحقيق والنظر، ويقول: إنما مهمة الرسل دعوتهم إلى النظر والتفكر، ومعرفة الخالق بصفات الربوبية فقط!

[2] قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحديد: ٢٥] فاستخدمه الظالمون فيما حرّم الله تعالى كقتل المسلمين، وآلات اللهو ونحو ذلك.

[3] قال تعالى: ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ**

الحاديةُ والثَّلاثُون: قولُه: «**مَا الفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُم، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَط عَلَيْكُم الدُّنيا**» إلى آخِرِهِ[١]، ضِدُّ مَا يَخَافُهُ ويَرْجُوهُ الوالدُ لذُرِّيتِه[٢].

الثَّانيةُ والثَّلاثُون: قَولُه: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلا بِضُعَفَائِكُم**»[٣].

سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] فأصل الخلافة والحكم والإمارة للحكم بالعدل، والقيام بأمور الناس، ثم بدّلها الظالمون إلى استعباد البشر، وإذلالهم، وأكل أموالهم، ومحاربة الحق وحجبه، ومناصرة الباطل ونشره، وعند الله تجتمع الخصوم، في يوم يخيب فيه من حمل ظلما ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * {مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾ [إبراهيم:٤٢ - ٤٣].

[١] ولفظه: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم» متفق عليه.

[٢] فغالب الآباء يخاف على ذريته الفقر، بينما الخوف من ضدّ ذلك وهو الغنى، فكم نفّر القلوب، وقطع الرحم، وعق الرجل أباه، وقاتل أخاه، وهجر صديقه، كلّ ذلك بسبب الغنى، والفرح بالمال.

[٣] روى البخاري عن مصعب بن سعد، قال: رأى سعدﷺ، أن له فضلا على من دونه، فقال النبيﷺ: «**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم**» وهو عند النسائي وزاد: «**بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**» وعن أبي الدرداء عن النبيﷺ أنه قال: «**أبغوني ضعفاءكم، فإنما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم**» أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، ويظن الظان بأنهم عالة على الناس وعبئاً عليهم، وهم بصلاحهم ودعائهم أقرب إلى الله تعالى، وبه تدفع النقم، وتحل النعم.

الثَّالِثَةُ والثلاثُون: قولُه: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا**﴾[1] الآية [سورة الإسراء: ١٦].

الرَّابِعَةُ والثَّلاثُونَ: قَولُه: ﴿**وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾[2] [سورة آل عمران: ١٤١].

الخَامِسَةُ والثَّلاثُون: قولُه: ﴿**وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ**﴾ الآية [سورة البقرة: ١٣٧][3] وقوله: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ**﴾[سورة المائدة آية: ٤٩].

---

[1] وهذا بالضد من سابقه، وأن من يظنون بأنهم سبب نهضة البلاد، وقوتها، من أهل الغنى والترف؛ قد يكونوا سبب فسادها ودمارها.

[2] فلا يغترّ المغرور بما فُتح عليهم من زينة الحياة الدنيا، فإن الله لا يصلح عمل المفسدين، ويمحق الكافرين، ويقوى داعي محقهم واستئصال شأفتهم إذا حاربوا دين الله رسولهﷺ، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾ [الأنفال: ٣٦].

كما أن في الآية أن من حِكَمِ البلاء تمحيص المؤمنين فقال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٠- ١٤٢] فلا يظن الظان أن ما يصاب به الناس من البلاء شرٌ من كل وجه، بل فيه من الحِكَمِ والمِنَحِ الشَّيء الكثير.

[3] وهكذا كلّ من أعرض عن الحق، فهم في شقاق ونزاع وافتراق، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾

السَّادِسَة والثَّلاثُون: قوله: ﴿**فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً**﴾ [سورة القصص: ٨] [١].

السَّابِعةُ والثَّلاثُون: قوله: ﴿**لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾ الآيتين [سورة الحج: ٥٣] [٢].

[المؤمنون: ٥٢- ٥٣] وقال تعالى: ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ [الحشر: ١٤] وقال تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ**﴾ [ق: ٥] فلا يغتر الناظر إلى اجتماعهم في الظاهر فبينهم شقاق بعيد، والله يكفي المسلمين من شرورهم.

وفي الآية أن من أعظم أسباب الوقوع في الشقاق والافتراق الاعراض عما جاء عن الله وعن رسول اللهﷺ، وكذلك حلول النكبات والمصائب، كما قال تعالى في الآية التالية التي ذكرها المصنف: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ**﴾ [سورة المائدة آية: ٤٩].

[١] وكيف أنهم أخذوه قرة عين لفرعون وزوجه، ثم صار في حقيقة إرادة الله أنه عدوٌ لهم وحزن على فرعون وملكه! قال ابن جرير (١٩/ ٥٢٣): «فالتقطه آل فرعون ظنا منهم أنهم محسنون إلى أنفسهم، ليكون قرة عين لهم، فكانت عاقبة التقاطهم إياه منه هلاكهم على يديه».

وهذا يوافق ما سبق من أن الظان قد يظهر له في بعض الأمور والأحوال ما يسارع الذهن إلى تأييدها وقبولها، وهي في حقيقة الحال على الضدّ من فهمه وظنّه، وأنه عندما يمعن التأمل، ويعرض ذلك على دلائل حكمة الله تعالى يجد أن الله حكيم في كل ما يقضي ويشاء ويختار.

[٢] قال تعالى: ﴿**لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾ [الحج: ٥٣] أي ما ألقاه الشيطان على لسان المعصومﷺ من كلام وهو يقرأ القرآن، فسمعه المشركون ففرحوا به لأنه يوافق ما هم عليه من باطل -كما جاء في بعض أخبار أهل التفسير والسير في قصة الغرانيق، وفي أسانيدها نظر- وقد يظن الظان في

المتممة الثانية

أربعَ عَشَرَ مَسْأَلَةً

تَنَاقَضَ النَّاسُ فِيْهَا فِي أَبْوَابِ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ

وقال أيضاً رحمه الله:

الأولى: يُجَوِّزُونَ عَلى اللهِ أنْ يَأمُرَ بِكُلِّ شَيءٍ، وَيَفْعلَ كُلَّ شَيءٍ[1]، وَيُنَزِّهُونَه عَنْ حَقَائِقِ أَسْمائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلا يَتِمُّ التَّوحِيدُ إلا بِهِ.

الثَّانيةُ: وَيَنْهَونَ عَنْ تَصْدِيقِ الرُّسِلِ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَيُقَلِّدُونَ طَوَاغِيتَهُم فِيمَا يُخَالفُ العَقْلَ والنَّقْلَ، ويَقُولُونَ: هُمْ أَعْلَم[2].

الثَّالثةُ: يُفْتُونَ بِحْملِ كَلامِ العَامِّي في العُقُودِ عَلى شَواذِّ اللُّغةِ، الَّتِي لم تَخْطُرْ بِبَالِهِ، وَيُحَرِّفُونَ كَلامَ اللهِ المُحْكَمِ، وَكَلامَ رَسُولِهِ الوَاضِحِ، عَلى غَيرِ مُرادِه[3].

متبادر الذهن أن هذه بلية وشر لا خير فيه من كلّ وجه، فبين الله تعالى أن هذه فتنة تميز الحق عن الباطل، وتظهر حقيقة أعداء الدين، من الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم.

[1] كما هو شأن الجهمية الجبرية! فيزعمون أنَّ الله يأمر بالشر، وأنه هو الفاعل الحقيقي لكل شيء! ثم يعطِّلون صفات الرحمن ولا يثبتونها.

[2] فيصرفون الناس عن النظر في أخبار الصفات، ثم يحملونهم على ما يقوله أهل الضلال ممن تشرّب مقالات أهل الكلام والزندقة، ثم يصف قولهم بأنه: «أعلم وأحكم!» كما هي مقالة الكثير من متأخري الجهمية، وقولهم عن مذهب الخلف بأنه أعلم وأحكم من مذهب السلف!

[3] وهذه من المضحكات المبكيات عند أهل الأهواء! أنهم يفتون بالحيل، فيأتيهم من طلَّق، ثم

الرَّابعةُ: وَيُحِيلونَ الجَوابَ عَلى مَنْ مَاتَ أو غَابَ، وَهُوَ أَوْغلُ مِنْهُم في الارْتِيَاب[١].

الخَامِسةُ: وَيدَّعُونَ كَمالَ العِلمِ والإِحَاطةِ، وَيُصِّرِحُونَ أَنَّهُم لا يَفْهَمُونَ مِنْهُ كَلِمةً وَاحِدَةً[٢].

السَّادِسَةُ: وَيجْزِمُونَ بِصِحَّةِ الإِجْمَاعِ، وَيُكفِّرونَ مَن خَالَفهُ، وَيَقُولونَ: مَذْهَبُنَا بِخِلافِهِ، وَهُو أَحْكَمُ[٣].

يلتمسون في دلائل لفظه حيلة ومخرجاً كي لا يقع به الطلاق بإعمال شواذ اللغة بمعانٍ لم تخطر بباله، مع أن مراده الطلاق بغض النظر عن لفظه! ثم يأتيهم كلام الله تعالى المحكم المبين، والواضح البين، في إثبات صفات الله تعالى، وهو مراد الله ومراد رسولهﷺ فيحرفون الكلم عن مواضعه.

[١] كما صنعوا في تأويل كلام الله تعالى بالكلام النفسي، مستدلين ببيت منسوب إلى الأخطل النصراني، وهو أوغل منهم في الرَّيب والشكِّ والضَّلال.

[٢] كحال أهل التجهيل! من المفوضة وغيرهم، فيدَّعون بأنهم الخبراء بالكلام ودلائله، ويزعمون أن عامة أخبار الصفات المستفيضة في القرآن الكريم لا تدل على معنى، ولا يُفهم منها مراد! فيكون أكثر القرآن مجهول المعنى عندهم، بل وعند النبيﷺ والصحابةﷺ وهذا من أقبح المذاهب وأفسدها.

[٣] فمع إقرار المخالفين في باب الأسماء والصفات بحجية الإجماع، بل ربما كفّروا من خالفه، إلا أنهم يضربون بإجماع السلف على إثبات الصفات عرض الحائط! ولا يأخذون به، ثم اخترعوا مذهبا جديداً للخلف، ووصفوه بأنه: «أعلم وأحكم!» وينظر ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في صدّ هذه الشبهة الملعونة في كثير من مؤلفاته من أشهرها "الفتوى الحموية".

السَّابعةُ: والعلمُ المفْروضُ عَلَيْهم يُحرِّمُونَ طَلَبَهُ، وَعُلومُهم الَّتِي يَدْأَبُونَ فِيْهَا، خَيرُهَا مَا حُرِّمَ عَليْهمُ السُّؤالُ عَنْهُ[1].

الثَّامِنةُ: وَيَتكَلَّمُونَ بِمَا يَقْتَضِي الإِحَاطةَ بِعِلْمِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ في خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، وَمَا ظَنُّوا أَنَّه خِلافَ الحِكْمَةِ، قَالُوا: لا يَفْعَلُ لِحِكْمَةٍ، بَلْ لمشيئةٍ[2]، فَإِذَا رَأَوُا مِنْ طَواغِيتِهم خِلافَ مَا أَصَّلُوا لَهُم مِنَ القَواعدِ سَلَّمُوا لَهُم، وَقَالُوا: هُمْ أَعْلَم.

---

[1] فيحرّم أهل الكلام طلب علم التوحيد! الذي جاءت به الرسل من القرآن والسنة، ويوجبون علم الكلام، ويصدّون الناس عن معرفة الأسماء والصفات، والنظر في نصوصها، وجمعها في مصنفات، ويسمونها كتب "التجسيم" ثم ينادون إلى علم الكلام والمعقول! والكلام في الظنيات، وقد قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء: ٣٦] فتكلموا بما نهوا عن السؤال عنه من الكلام فيما لا تدركه عقولهم من الغيب، وصفات الله تعالى وكيفيتها، فخاضوا في الجوهر والعرض والجسم وغير ذلك فجاءوا بالضلال والوبال على عقيدة المسلمين.

[2] أي من ضلال هؤلاء المخالفين أنهم يتكلمون في قدر الله الكوني والشرعي بغير علمٍ ولا هدى منير، ثم ما خالفوا فيه الحكمة الإلهية المرادة، قالوا بأنه لا لحكمة! وإنما هو محض المشيئة، وهو قول الجبرية الجهمية المقابلين للقدرية، فيزعمون أن الله تعالى أمر بكل العبادات لا لحكمة مطلوبة ولا بسبب، بل لمحض المشيئة.

ثم إن وجدوا من طواغيتهم من أصّل أصلا جهلوه، ونقض أساً أصلوه، تركوا ما كانوا يقولون به، وذهبوا إلى القول الجديد! وقالوا عن مذهبه: هو أعلم. =

التَّاسِعَة: ثُمَّ يَتنَاقَضُونَ، فَيتكلَّمُونَ في شَرْعِهِ بالتَّعْليلِ البَاطِلِ، وَيُولِّدونَ عَليه مَا شَاءوا[١].

العَاشِرةُ: وَيتكلَّمُونَ في عِصْمةِ الأَنْبِيَاءِ بِما يُضْحكُ العَاقِلُ، وَيُوسِّعُونَ الكَلامَ فِيهِ، ويُفْرِدُونَه بالتَّصْنيفِ[٢]، والنَّوعُ الذي انْعَقَد الإجْمَاعُ عَلى العِصْمةِ فِيهِ - وهُو حَظُّهُم ونَصِيبُهم - لا يَلْتَفِتُونَ إلِيه[٣].

= ورضي الله عن الإمام مالك بن أنس حين قال: «كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نحن عليه إذاً لا نزال في طلب الدين؟!» رواه الهروي، أي كيف نسلّم ديننا آراء الرجال وجدالهم، ونتبعهم فيما يقولون ونترك ما جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ.

[١] وهذا من تناقض الخائضين في الصفات والقدر، فمع نفيهم للحكمة تارة، إلا إنهم يناقضون أنفسهم بالكلام في تعليل الشرع بالتعليلات الباطلة، وهذا كثير عند متأخريهم، فينفي الحكمة والعلة في العقائد، ثم يتخبط في اختراع العلل في أبواب الفقه والأحكام! ولا فرق بين البابين، فكلاهما من شرع الله وقدره.

[٢] وممن أفردها بالتصنيف الفخر الرازي، وهو من أبلد الخلق في حقيقة توحيد الله تعالى الواجب.

[٣] وهو الكتاب الكريم، وما جاء على لسان النبي ﷺ من شرع الله، فلا يلتفتون إليه وهو محل العصمة في البلاغ والأداء والصدق، فكيف يتجه أمثال الرازي وطائفته إلى نصرة القول بعصمة الأنبياء، وهو يقرر عقائده على غير ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة، بل ربما ذم النظر فيهما ورأى أن ظاهرها التشبيه كما قال في "المطالب العالية"(٩/ ٢١٣) عن أخبار الصفات: «إن الأخبار المذكورة في باب التشبيه بلغت مبلغاً كبيرا في العدد، وبلغت مبلغاً كبيراً في تقوية التشبيه، وإثبات أن إله العالم يجري مجرى إنسان كبير الجثة عظيم الأعضاء، وخرجت على أن تكون قابلة التأويل!».

بَل يُحرِّمُونَ الالْتِفَاتَ إليهِ، وَلُو صَحَّ كَلامُهُم في الأولِ فَلا تَعلُّق لَهُ بِهِم[١].

الحاديةُ عَشَر: وَيقُولُون: الأصُولَ التي يَكفُر مُخَالِفُها، هِيَ الَّتِي تُعْلَم بالعَقْلِ، وَمَا لا فَهِي الشَّرْعِياتِ، وَهَذا تَنَاقُضٌ؛ فِإنَّ الكُفْرَ: إنْكَارُ السَّمْعِياتِ، وَلا يُعْرفُ إلا بِهَا[٢]، وَمَنْ تَدَبَّرَ هَذَا عَرَفَ أنَّهُم شَرٌّ مِنَ الخَوارجِ، الذينَ عَلَّقُوا الكُفْرَ بِمُخَالفةِ الكِتَابِ، وَلكِنْ غَلِطُوا[٣].

وَهؤلاءِ الَّذِينَ عَلَّقُوه بِغِيرِهِ[٤] اتَّفَق السَّلفُ عَلى أنَّ قَوْلَهُم شرٌّ مِنْ قَولِ الخَوارِج[٥]، وارْتَكَبُوا مَعَهُ أرْبعَ عَظائمَ:

---

[١] أي لو قيل بصحة القول بعصمة الأنبياء مطلقاً فلا متمسك لهم في ذلك في تقرير باطلهم، كما يصنع الرافضة في إثبات عصمة آل البيت بذلك، وكذلك غلاة الصوفية في قولهم بعصمة الأولياء بناء على عصمة الأنبياء، والأولياء عندهم أفضل!

[٢] أي لا يُعرف الكفر إلا بمعرفة السمعيات، فهو حكم شرعي مصدره السمع، وبه يُعرف، ومن عجائب أهل الضلال المخالفين في الصفات والشرع والقدر أنهم يكفرون من خالف ما يزعمون أنه يناقض نتائجهم العقلية، ولا يكفّرون من خالف صريح القرآن والسنة، ووصف الله تعالى بصفات المعدومات والمستحيلات!

[٣] أي غلطوا في تطبيق الحكم، وإن أصابوا في جعل أساس الكفر في مخالفة الكتاب.

[٤] أي علَّقوا الكفر على غير السمع من العقليات.

[٥] بل شرٌّ من اليهود والنصارى، كما قال عبدالله بن المبارك: «إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية».

الأولى: ردَّ نُصوصَ الأَنْبِياءِ[١]. الثَّانيةَ: ردَّ مَا وَافَقَهَا مِنَ العَقْلِ[٢].

الثَّالثةَ: جَعلَ مَا خَالَفَها أُصُولاً للدِّينِ[٣].

الرَّابعةَ: تَكْفِيرَهُمْ، أَوْ تَفْسِيقَهُم، أو تَخْطِئَتَهُم مَنْ خَالَفَها واتَّبَع الأَنْبِيَاءَ[٤].

وَقَد أُمِرنَا أَنْ نَتَدَبَّر القُرآن، وَلا يَكُونُ إلا إذا كَان بَيِّنَاً، فأمَّا إنْ احْتَمَل مَعانيَ، وَلَم يُبين المرادُ، لم يُمْكِن أن يُتَدبَّر، وَلِهذَا تَجِدُ مَنْ زَعَمَهُ[٥] قَد اشْتَمَل كَلامُهُم مِنَ البَاطِلِ عَلى مَا لا يَعْلَمُهُ إلا اللهُ، بَلْ فِيهِ من الكَذِبِ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "الفتاوى الكبرى" (٦/ ٥٢٧): «حال فروع الجهمية قد يكون أخف من حال الخوارج وإلا فقولهم في نفسه أحنث من قول الخوارج بكثير، وإذا كان يونس بن عبيد قد قال عن المعتزلة إن فتنتهم أضر على الأمة من فتنة الأزارقة والمعتزلة جهمية؛ علم أن السلف كانوا يعلمون أن الجهمية شر من الخوارج».

[١] كما تقدم لا يقبلون أخبار الصفات الواردة في القرآن والسنة، ويحرفون ما في القرآن بطاغوت المجاز، ويردون ما في السنة بطاغوت عدم الأخذ بخبر الآحاد!

[٢] فيخالفون العقل الصريح الموافق للنقل الصحيح، وذلك أن كل ما ثبت نقلاً صح عقلاً إذ لا تعارض بينهما.

[٣] من قواعد أهل الكلام، وتأويلاتهم الباطلة، ومقدماتهم الفاسدة.

[٤] وهذا من أعظم جنايتهم على الإسلام وأهله، وما محنة الإمام أحمد عن الأذهان عند مثل هذا الكلام بكثير، ومثله ما جرى للأئمة أحمد بن نصر الخزاعي وعبدالغني المقدسي وشيخ الإسلام ابن تيمية وخلق كثير، بظلم هؤلاء الضُلَّال وجورهم، والله المستعان.

[٥] أي زعم أن كلام الله محتمل المعاني، غير ظاهر الدلالة!

فِي السَّمْعِياتِ نَظِيرَ مَا فِيهِ مِنَ الكَذِبِ فِي العَقْلِّياتِ، بَل مُنْتَهى أَمْرِهِم إلى القَرْمَطَةِ فِي السَّمْعِيَّاتِ[١]، وَالسَّفْسَطةِ فِي العَقْلِيَّاتِ[٢]؛ **وَهَذا مُنْتَهى كُلِّ مُبْتَدِعٍ خَالفَ شَيْئاً مِنَ الكِتَابِ والسُنَّةِ، حَتَى فِي المِسَائِلِ العَمَلِيةِ، وَالقَضَايَا الفِقْهِيةِ**[٣].

الثَّانيةُ عَشَر: والتَّوحيدُ عِنْدَهُم: إنْكَارُ صِفَاتِ الكَمالِ وَنعُوتِ الجَلالِ[٤]، وَالشِّركُ إثْبَاتُها[٥]؛ وَدِينُهُم اتخاذُ أكَابِرِهِمْ أرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ[٦].

---

[١] أي ردّ الشرع كما هو حال القرامطة، وهو من ملاحدة الباطنية الرافضة.

[٢] أي مخالفة العقل الصريح كما هو حال السفسطائية، وهي فرقة تعبث بدلائل العقول ونتائجها بما يخرج عن حد المعقول.

[٣] وهذا كلام مهم؛ وفيه خطورة الأهواء والبدع، وأن صاحب الهوى يحمله هواه إلى تكذيب صحيح المنقول، ومخالفة صريح المعقول حتى ولو كان ذلك في دقائق المسائل الفقهية.

[٤] فيقولون إن أثبتنا شبهنا، فيصفون الله بالسلوب! ونفي الصفات، وتعطيلها.

[٥] ويصفون من أثبت بأنه أشرك وشبَّه! كما تقدم في كلام الرازي! ومن ذلك ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٢/ ٢٤٤) ما قال أحد أئمة المتصوفة الزنادقة؛ حيث قال شيخ الإسلام: «حدثني الشيخ العالم العارف كمال الدين المراغي شيخ زمانه انه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد قال قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئاً فرأيته مخالفا للكتاب والسنة، فلما ذكرت ذلك له، قال: القرآن ليس فيه توحيد بل القرآن كله شرك ومن اتبع القرآن لم يصل إلى التوحيد ... ».

[٦] فيتعصبون إلى أقوال أئمتهم، ويجمدون عليها، ويتركون قول الله وقول رسولهﷺ.

الثَّالِثَةُ عَشَر: وَيزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مَا عَظَّمُوهُمْ إلا لأَجْلِ الله، ثُمَّ يَسْتَخِفُّونَ بِهِ، وَيَسُبُّونَه مَسَبَّةً مَا سَبَّهَا إيَّاهُ أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ[1].

الرَّابِعةُ عَشَر: وَيَزْعُمُونَ أَنَّ فِعْلَهُم تَعْظِيمٌ وَإجْلالٌ للأَنْبِياءِ والصَّالِحِينَ، وَهُمْ بِذَلِكَ يُكَذِّبُونَهُمْ، وَيُكَفِّرُونَهُمْ، وَيَسْتَجِهلُونَ مَنْ صَدَّقَهُمْ وَآمَنَ بِهِمْ[2]؛ وَهَذَا، وَالَّذِي قَبْلَه: مِنْ أَعْجَبِ العُجَابِ!

---

[1] أي من تناقضهم زعمهم أنهم ما عظموا أربابهم وطواغيتهم إلا من أجل الله، وهم ما عظموا الله أصلاً، بل وصفوه بأقبح الصفات، ونفوا عنه صفات الكمال والجلال التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسولهﷺ، وآل قولهم إلى إلحاق المسبة بالله تعالى أشد من مسبتهم لأي أحدٍ من البشر.

[2] فأي إجلال للنبيﷺ وهم لا يقبلون سنته، ويرون أن ظاهرها الشرك والتشبيه؟ وأن كلامه لا معنى له، وأنه جاء بقرآن غير مفهوم المعنى؟

وأي إجلال واحترام لصحابة رسول للهﷺ ورضي الله عنهم، وهم حملة الدين، ومع ذلك ما آمنوا بمثل ما آمنوا به، ولا أخذوا بمنقولهم ولا قولهم، وإنما فزعوا إلى أهل الضلال والزندقة كالأخطل النصراني ومخلَّفات المنطق اليوناني!

وصدق شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن هذا والذي قبله من أعجب العجاب، والله المستعان.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وقد تَمَّ ولله الحمد الفراغ من تعليق هذه الحواشي على الرسائل الثلاث ضحى يوم الجمعة الموافق للثاني عشر من شهر رجب الحرام سنة ١٤٣٦ بمدينة الطائف.